جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والادب العربي

محاضرات في مقياس: مناهج البحث اللغوي.

السنة الأولى ماستر تخصص لسانيات.

الأستاذ: نورالدين خيار.

المحاضرة الأولى: مدخل عامّ

توطئة:

إن الاعتماد على المنهج ضروري في أي علم من العلوم، ولعل جل الأسباب التي تكون وراء الأخطاء الفادحة التي يقع فيها الباحثون يعود إلى المنهج من زوايا عدة: عدم وضوحه أو عدم وضوحه أو عدم وجوده أصلا، أو السير على هدي خطواته من غير بصيرة كافية. وتعتبر مناهج البحث العلمي قواسم مشتركة بين الباحثين على تنوع انتماءاتهم الثقافية.

ومن الأسس التي تقوم عليها مناهج البحث تلك الخطوات العملية التي تؤدي إلى أدلة ذهنية أو مادية في الوصول إلى الحقيقة فالمناهج إذن وسائل وطرق تسعى إلى غاياتها، وينبغي على الباحث الذي يقضي مسيرته في البحث عن الحقيقة أن يلمّ بتلك الطرق ويوازن بينها ويستثمرها بشكل يعود على بحثه بالإيجاب.

المنهج اصطلاحا:

تكاد كل المعاجم تجمع على أنّ المنهج هو الطريقة أو الأسلوب ويعرف المنهج أنه: "الطريق أو السبيل أو التقنية المستخدمة لعمل شيء محدد أو هو العملية الإجرائية المتبعة للحصول على شيء ما أو موضوع ما. «والمنهج ترجمة للكلمة بالفرنسية (.....) المشتقة من اليونانية (.....) وهي الكلمة التي استخدمت عند أفلاطون وأرسطو بمعنى (البحث). كما استخدم هذا المصطلح ليشير إلى طريقة البحث عن المعرفة والاستقصاء. وقد استخدم بدلالات أخرى في مجالات الفلسفة والمنطق والطب وما إلى ذلك.

ومن جهة أخرى، فالمنهج هو سلسلة الدراسات التي جرت على موضوع معين أو تخصص معين، أي أنه مجموعة من القواعد المصوغة قصد الوصول إلى الحقيقة، وبذلك يكون المنهج ممثّلا لمرحلة حضارية تأصلت عبر مراحل زمنية. وبالتالي يمكننا أن نخلص إلى تعريف الباحث **أحمد مطلوب** في" معجم النقد العربي القديم للمنهج إذ يقول: «المعنى العام للمنهج هو السلوك الذي يقود إلى هدف معين في البحث والتأليف أو السلوك."

وقد حظي المنهج خاصة في عصر النهضة الأدبية، الفنية الأوروبية بعناية فائقة، وعدّ جزء من الأجزاء القوية للمنطق، حيث قسم المنطق لدى الدارسين خلال عصر النهضة إلى أربعة أقسام: التصور، البرهان، المنهج، الحكم، ثم تطور مفهوم واستعمال المنهج خلال ق 19 خاصة في دراسات بيكون الذي قال بالمنهج التجريبي، وديكارت وكلود برنار وغيرها. وبناء عليه صاغوا تعريفا للمنهج على أنه "فنّ التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، من أجل الكشف عن الحقيقة، حين نكون بها جاهلين أو من أجل البرهنة عليها للآخرين، حين نكون بها عارفين".

فالمنهج هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة جملة من الضوابط والقواعد التي توجه العقل إلى نتائج معلومة.

وقد وظف المنهج على أنه التيار أو المذهب أو المدرسة ولا ضرر في ذلك ما دام الهدف من ذلك كله هو الكشف عن الطريقة أو الأسلوب لتيار معيّن أو مذهب معيّن أو مدرسة معيّنة.

المنهج والمصطلحات المتداخلة:

يتقاطع مصطلح المنهج مع عدة مصطلحات أخرى توظف في مجالات الأدب والفكر والفن بوجه عام أبرزها:

مصطلح **تيّار**: التيّار في الأدب والفن اتجاه عام نحو فكرة معينة أو تذوّق معين تتّبعه مدرسة من مدارس الفن.

مصطلح **مدرسة** "اتجاه فكري أو أدبي أو فلسفي ينتمي إليه أنصار ومحبذون يتقيدون بتعاليمه ويسعون إلى تحقيق الغاية منه: مثل المدرسة الكلاسيكية أو الواقعية.

والتيّار أهم من المدرسة لأن التيار الواحد قد يشمل عدة مدارس فنية متنافرة من ذلك محاربة الكلاسيكية تيّار بارز في كثير من المدارس.

مصطلح **مذهب**: المذهب من الوجهة الفنية هو آراء وتقنيات يعتمدها الفنان أو الأديب في تحقيق آثاره. وهو مصطلح يقترب كثيرا من مصطلح المدرسة. وحتى لا تتشتّت بنا السبل أمام تزاحم الآراء واختلافها سنركز على أهم مناهج البحث اللّغوي التي طبعت أهم المدارس اللغوية بطابع خاص. وذلك من أجل الإلمام بقواعدها وطرائقها دون التعصّب لها. فما قيمة ألاّ تأخذ بقواعد المنهج الوصفي في جزئية ما، وأنت تسير في بحث يتطلب في عمومه المنهج التاريخي، وما معنى ألاّ تأخذ بالفوائد الإحصائية إذا كنت منتبها إلى مغبّة ما يمكن أن يترتب عليها من محاذير؟

فالمادة اللّغوية هي الجسم الذي تسعى المناهج البحثية بإمكاناتها المتعددة للكشف عن حقيقته، فما قد يراه الباحث من خلال منهج معين، يكمله أو يصحّحه، ما قد يراه من جانب آخر، من خلال منهج آخر.

المحاضرة الثانية: المنهج التاريخي

ازدهر المنهج التاريخي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. حيث يهتم هذا المنهج بتتبع الظاهرة اللغوية ودراستها عبر الزمن. إذ أخذت بهذا المنهج اللغات الأوروبية القديمة كاليونانية واللاتينية التي تطورت إلى اللغات الرومانية. والأنجولوسكسونية إلى الإنكليزية الحديثة، والعربية الفصحى إلى مختلف اللهجات المنتشرة في الوطن العربي. وبتركيز المنهج التاريخي على اللغات الهندو أوروبية القديمة فإنه يهمل اللغات الحديثة فهو ينظر إليها على حدّ تعبير **ماريو باي** في كتابة أسس علم اللغة "شيء متغير خدّاع، وأنّ الجزء الثابت منها والذي يستحقّ الدراسة هو ذلك الموجود في اللغة المكتوبة. فالمنطوق هو أساس الدراسة الوصفية. وبالتالي فإنّ المنهج التاريخي يهتم باللغة المكتوبة التي دونت في وثائق حتى لو لم تكن حية منطوقة، وهو لا يغفل المنطوق، وبذلك يلتقي مع المنهج الوصفي في دراسته للمنطوق، ولكنه يعتبر المنطوق هو الشكل الأخير لما آلت إليه اللغة.

ومصطلح علم اللغة التاريخي يعني بدراسة اللغة وتتبعها عبر الزمن للوقوف على ما أصابها من تطور عبر العصور المختلفة والأماكن المتعددة، ومعرفة أسرار هذا التطور وقوانينه المختلفة. ويقوم البحث التاريخي على رغبة في إعادة هيكلة الظاهرة اللغوية عبر العصور، من خلال ما تبقى من آثارها. فإن كان ثمّة مجال للاستنتاج فينبغي أن يكون استنتاجا من خلال النصوص والوثائق التاريخية لتصور الحلقات المفقودة.

وعلى هذا فإن الباحث التاريخي في اللغة، يشبه علم الآثار الذي يتهدى بتصور ما فقد من قطع أثرية. في ضوء ما عثر عليه منها وبما يتناسب وحجم الفراغ الموجود، سعيا وراء تكوين عام لهيكل الظاهرة في السياق التاريخي لها. فهناك قضايا كثيرة في مجال الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة والدلالة تدخل في إطار علم اللغة التاريخي.

وتعد دراسة التغير الدلالي وما يرتبط بها من إعداد المعاجم التاريخية من أهم مجالات علم اللغة التاريخي. كما يهتم المنهج التاريخي في البحث في مستويات الاستخدام اللغوي في البيئات المختلفة، وتغير ذلك عبر الزمن.

كما يتناول هذا المنهج مسألة الانتشار اللغوي، ودخول اللغة إلى مناطق جديدة. ويبحث أيضا في الانحسار اللغوي عن مناطق بعينها (وجود العربية على مدى قرون عديدة في الأندلس، إيران وكانت لغة ثقافة في شبه القارة الهندية (الهند، إقليم النيبال، بنغلادش، بوتان، باكستان، جزر سريلانكا والمالديف) وعلى ذلك فالتاريخ اللغوي يبحث ويتناول دراسة التغيّر في البنية اللغوية والتغيّر في مستويات الاستخدام على حدّ قول **محمود فهي حجازي**. ويمكن التمثيل لهذا التغير في مستويات الاستخدام اللغوي بما قام به البلاغيون في العصور الوسطى حين قسموا الأسلوب الذي هو الاستخدام الفعليّ للغة إلى ثلاثة طبقات هي البسيط المتوسط السامي مع تحديد موضوعات كل طبقة تصلح لها، وأخذوا كمثال النتاج الأدبي للشاعر الروماني **فرجيل** الذي اتّسم بغزارة كتاباته فاستخلصوا منها ثلاث طبقات:

قصائد ريفية: تعبر عن حياة الفلاحين بأسلوب بسيط.

قصائد زراعية: وهو ديوان أخلاقي يحثّ الرومان على التمسك بأرضهم (تمجيد الإقطاع) بأسلوب متوسط.

ملحمة الإنيادة: وتعدّ نموذج الأسلوب السّامي فيها ذكر للمحاربين الأبطال، وتمجيد البطولات والآلهة وأنصاف الآلهة (طبقة النبلاء).

فكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة يرتبط بفئة اجتماعية معينة وفي ذات السياق يقول الكاتب الفرنسي أنطوان **ريفارول** عن هذا التقسيم الأسلوبي الذي يتماثل مع التقسيم الاجتماعي: "إن الأساليب تحتل طبقاتها في لغتنا مثلما يحتل الرعايا طبقاتهم في مملكتنا وإذا اعتقد أن هناك تعبيرين يصلحان لشيء واحدة، وخلال هذه الطبقية للأسلوب يعرف الذوق الصحيح طريقه". وهو الأمر نفسه تقريبا عند البلاغيين العرب القدامى حين تناولوا طبقات الشعر وطبقات الكلام.

يقول الباحث **روبنز** في كتابه موجز تاريخ علم اللغة في الغرب متحدثا عن المنهج التاريخي: " من المألوف في علم اللغة أن يقال: إن القرن 19 كان عصر الدراسة التاريخية والمقارنة للغات وبوجه أخص اللغات الهندو أوروبية، وهذا أمر وارد بشكل كبير. ولكن هذا لا يعني أنه لم تنجز قبل هذا الوقت بحوث تاريخية تقوم على مقارنة اللغات، ولا أن كل الجوانب الأخرى لعلم اللغة قد تم تجاهلها خلال القرن 19 ولكن المسألة هي أن هذا القرن قد شهد تطورا في المفاهيم النظرية والمنهجية الحديثة لعلم اللغة التاريخي والمقارن. كما أن التركيز الأكبر للجهود العلمية والقدرة العلمية في علم اللغة كان مكرسا لهذا الجانب من الموضوع أكثر من عيرة من الجوانب. ويقول **دي سوسير** متحدثا عن التطور اللغوي "اللغة تتطور ولكنه تطور بطيء بالكاد نشعر به " والتطور اللغوي مفهوم حيادي، بمعنى أنه لا يحمل شحنة معيارية ولا يمثل موقفا من الظاهرة اللغوية تتغير إذ يطرأ على أجزئها بعضا أو كلا تبدل نسبي في الأصوات والتراكيب وفي الدلالة على وجه الخصوص.

المحاضرة الثالثة: المنهج المقارن

لقد مر البحث اللغوي بمراحل ثلاث بارزة قبل أن يتبلور بشكل علمي وموضعي على يد **فردنان دي سوسير**. **<u>المرحلة الأولى</u>** كانت علم النحو والتي نشأت مع الإغريق واستمرت أساسا مع الفرنسيين وكان المنطق هو الأساس الذي تنبني عليه. وكانت غاية هذه المدرسة تنحصر على وجه التحديد في إيجاد قواعد من شأنها أن تميز الصيغ الإعرابية الصحيحة من الصيغ الخاطئة، فهي إذن دراسة معمارية بعيدة كل البعد عن الملاحظة الخالصة وتميزت هذه المرحلة بشيوع فكرة النحو العالمي التي كانت سائدة بين اللغات آنذاك، فالنحو جوهريا كامن في جميع اللغات الطبيعية رغم الاختلافات العرضية والسطحية. ومن أبرز رواد هذه الفترة: مدرسة بور رويال **أرنولد وكلود لانسلوت** الذين أصدرا كتاب "**النحو العام والعقلي** "

<u>المرحلة الثانية</u> تمثلت في الدراسات اللغوية المنضوية تحت مسمى "فقه اللغة "أو النقد الفيلولوجي وقد ارتبط هذا الاصطلاح "فقه اللغة" على وجه الخصوص بالحركة العلمية التي أنشأها **فريديريك أوغست وولف** وهو لغوي وكاتب وأستاذ جامعي، وناقد أدبي، وباحث في تاريخ العصور الكلاسيكية، من ألمانيا ويعتبر مؤسس فقه اللغة الحديث.

فليس اللسان هو الموضوع الأول والوحيد لفقه اللغة الذي يهدف قبل كل شيء إلى أن يحصر النصوص بتحديدها، بل أيضا بأن يؤولها ويحللها. وهذه الخطوة قادت فقه اللغة إلى أن يجعل موضوع اهتمامه، تاريخ الأدب والأعراف والمؤسسات وغيرها ذلك (دراسة فريديريك أوغست وولف للإلياذة هوميروس لغويا وثقافيا واجتماعيا.

وفي جميع الأحوال قد استخدم فقه اللغة منهاجا خاصا هو النقد. فإذا أراد أن يتناول المسائل اللسانية فإنما يفعل ذلك خاصة من أجل أن يقارن بين نصوص مختلفة وأن يحدد اللغة الخاصة لكل مؤلف كاتب، كما يحاول أن يهتدي إلى ما كتب في لغة قديمة أو غامضة وأن

يفسر تلك الكتابة. إلاّ أن من ثغرات هذا النقد الفيلولوجي هو كونه قد ارتبط كارتباط العبد باللغة المكتوبة، ونسي اللغة الحية المنطوقة، وفضلا عن هذا، فإن العصر الإغريقي واللاتيني هو الذي كان يستغرقه استغراقا كاملا (فقه اللغة).

المرحلة الثالثة فابتدأت عندما اكتشف أنه بالإمكان أن تقارن اللغات فيما بينها، وكان ذلك هو الأصل في فقه اللغة المقرن أو "النحو المقارن. درس **فرانز بوب** في مؤلف عنوانه: **نسق التصريف في اللغة السنسكريتية** العلاقات التي ترتبط اللغة السنسكريتية باللغة الجرمانية والإغريقية واللاتينية وغيرها. ولم يكن **بوب** هو أول من لاحظ أوجه التشابه هذه، وقد سلم بأن كل هذه اللغات ترجع إلى أسرة واحدة. وأن كان هذا العمل قد قام به سابقا المستشرق الإنكليزي وليام جونز فلم يستحق **بوب** كل التقدير لكونه اكتشف أن اللغة السنسكريتية ذات قرابة ببعض اللغات الأوربية والأسيوية بل لكونه قد فهم بأن العلاقات بين اللغات ذات الأصل الواحد يمكن أن تصبح موضوعا ومادة لعلم مستقل، أمّا كون الإنسان يوضح لسانا بواسطة لسان آخر ويفسر صيغ لسان من صيغ أخرى فذلك مالم يقلم به أحد بعد. لقد مهد اكتشاف السنسكريتية الطريق **لفرانز بوب** لدراسة أكثر اتساعا وأشد صلابة. وقد ظهر إلى جانب **بوب** مشاهير من علماء اللسان منهم: **جاكوب جريم** مؤسس الدراسات الجرمانية الذي نشر كتابه: **النحو الألماني**.

ماكس مولر جورج كورتيس أوغست شلايشر هؤلاء الثلاثة عملوا كثيرا وعلى أنحاء مختلفة على النهوض بالدراسات المقارنة. فماكس مولر أشاع الدراسات اللغوية المقارنة في الأوساط الشعبية (دروس في علم اللغة بالإنكليزية.

جورج كورتيس كان فقيها ممتازا في اللغة ومشهور على الأخص (مبادئ في أصول اللغة الإغريقية وقد كان من الأوائل الذين حاولوا التوفيق بين النحو المقارن وفقه اللغة الكلاسيكي.

أوغست شلايشر هو أول من حاول وضع وضبط نتائج الأبحاث اللغوية المقارنة ويوضح على مدى واسع ويعتبر مؤلفه "موجز في النحو المقارن للغات الهندو –أوروبية " عبارة عن

تنسيق للعلم الذي أسسه "بوب" وأن هذا الكتاب الذي ظل زمنا طويلا ذا فوائد ومنافع عظيمة. باعتبار أن هذه المدرسة ذات النزعة المقارنة تكون المرحلة الأولى للسانيات الهندو–أوروبية. إلا أن ما يعاب عليها أنها لم تتوصل إلى تأسيس علم اللسان الحقيقي للإنشغالها بمجالات أخرى لها صلة بالتاريخ والأساطير والثقافة.

أما مدرسة النحاة الجدد (التي أسسها علماء لغة ألمان منهم بروجمان –أستوف –براون– ليسكني) التي وضعت نتائج دراسات النحو المقارن في الاتجاه التاريخي، مما جعل ربطهم للظواهر اللغوية وترتيبها مردودا إلى نظامها الطبيعي "فبفضل هؤلاء لم نعد نرى في اللغة بنية عضوية تتطور من تلقاء ذاتها، بل أصبحت إنتاجا للفكر الجماعي لمجموعات لسانية. أما العالم الأمريكي **وليام وايتني** صاحب كتاب "**حياة اللغة** " هو الذي شكل الانطلاقة الفعلية للدرس اللساني البنيوي يقول عنه جورج مونان في كتابه "تاريخ علم اللغة" "إن سوسير من أهم القراء الحقيقين لكتابات وليام وايتني " ومن أهم أفكاره: –اللغة واقعة طبيعية وصفة بيولوجية إنسانية لغرض التواصل.

–مبدأ المواضعة هو ما يميز اللغة البشرية عن أي نوع من أنواع التواصل الحيواني.

–يطرح سؤالا: كيف تعمل اللغة؟ يجيب بقوله " اللغة كالجسم العضوي، فهي ليست تلاصق جزيئات متشابهة، بل هي مجموعة أجزاء يرتبط بعضها ببعض ويعاضد بعضها البعض.

أساس المنهج المقارن:

يتضمن هذا المنهج أساسا وضع الصيغ المبكرة المؤكدة، المأخوذة من لغات يظن وجود صلة بينها جنبا إلى جنب ليمكن إصدار حكم فيها بعد الفحص والمقارنة بخصوص درجة الصلة بين عدة لغات، والكر الذي يبدو أقرب صلة إلى اللغة الأم. كلما اتجهنا إلى الوراء ولعل من أهم ما نتج عن المنهج المقارن هو تصنيف اللغات في أسر تبعا لخصائصها البنائية. ومن الإشارات المقارنة في التراث العربي: وقوف **ابن حزم الأندلسي** على العلاقة بين العربية والعبرية والسريانية حيث قال "من تدبّر العربية والعبرية والسريانية أيقن أن

اختلافها إنّما هو من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم وأنها لغة واحدة في الأصل.

الفرق بين المنهج المقارن والمنهج التقابلي:

يكمن الفرق الجوهري بين المنهجين أن الأول يوازن بين اللغات بقصد التأصيل والوقوف على جوانب التطور والثاني بقصد التعليم ومعرفة المشكلات التي يعاني منها الدارس الذي يرغب في اكتساب لغة جديدة بأيسر السبل، وذلك بمعرفة المشكلات التي يواجهها في اللغة الجديدة، حين يدخل رحابها بعادات لغوية تحكمها معايير لغته الأولى بكل مستوياتها

ولذا فإن المنهج التقابلي قد يعتني عناية بالغة بلغتين ليستا أصلا من عائلة واحدة بالضرورة. ويحدد الحاجة إلى العناية بالمقابلة بين لغتين، غايات تعليمية تخضع لدوافع الإقبال على تعلم اللغة الجديدة. أما المنهج المقارن فربما لا يلتفت إلى هذا الفرض، بل قد يصبح هذا الهدف معطلا، أو لا قيمة له حين تكون المقابلة أحيانا بين لغتين أو لغات انقرضت أو انقرض بعضها.

المحاضرة الرابعة: نص للتحليل.

ويجب أن نعود إلى مفهوم التطور في اللغة. فإذا لم تكن التغيرات التاريخية التي تطرأ على اللغة والتراكم الكبير للتبدلات الدقيقة التي آلت بمرور الزمن إلى إعادة كاملة لبناء اللغة، مماثلة جوهريا للتغيرات الفردية التي نشاهدها في كل مكان حولنا، فهل نسند إلى ذلك التاريخ ضربا من السمات الصوفية؟ ألم نسند إلى اللغة قوة تغيير ذاتية تتجاوز كل الحدود؟ أوهي فوق نزعة الأفراد اللاإرادية إلى تغيير القاعدة؟ وإذا لم يكن ذلك التطور اللغوي مجرد مجموعة مألوفة من التغيرات الفردية في بعدها العميق العمودي، وهو ما يحدث تاريخيا بدل النظرة الأفقية التي تسود في التجربة اليومية، فماذا يكون؟ فلا توجد اللغة إلا متى كانت مستعملة فعلا. ويجب أن نعتبر أن كل التغيرات المفيدة تغيرات فردية بالخصوص وهو ما يصدق تماما وإن كان لا ينجر عنه البتة إمكان فهم التطور العام للغة انطلاقا من دراسة وصفية شاملة لتلك التغيرات دون غيرها ويتكون تطور اللغة بواسطة الانتقاء اللاشعوري لدى المتكلمين لتلك التغيرات الشخصية المتجمعة في اتجاه خاص معين. ويمكن استنتاج ذلك الاتجاه في مجملة من تاريخ اللغة الماضي. وتصير أي خاصية جديدة من خاصية جديدة من خصائص التطور بمر الزمن جزءا أو قطعة من اللغة المشتركة المقبولة ،ويمكن أن تظل طويلا نزعة بسيطة في لغة أو أقلية من الناس ،أوقد تكون لغة أقلية مسترذلة

من كتاب: اللغة، تأليف: إدوارد سابير، تر المنصف عاشور.

المحاضرة الخامسة: المنهج التقابلي

نشأ هذا المنهج بعد الحرب العالمية الثانية، والفرق بينه وبين المنهج المقارن، أو بين علم اللغة التقابلي وعلم اللغة المقارن هو أن "علم اللغة المقارن هو أن: علم اللغة المقارن يقارن اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة. ويهتم في المقام الأول باستخدام الأقدم في هذه اللغات للوصول إلى اللغة التي خرجت عنها /منها كل اللغات، ولذا علم اللغة المقارن ذو هدف تاريخي يحاول به كشف جوانب من الماضي البعيد في ميدان اللغة. أما علم اللغة التقابلي فلا شأن له بهذه الاهتمامات التاريخية، ودراساته ذات هدف تطبيقي في تعليم اللغات، ولذلك فالدراسة التقابلية ممكنة بين لغتين من أسرة واحدة، أو من أسرتين مختلفتين، لا يهدف التعرف على الأصل القديم، ولكن بهدف التعرف على الفروق الصرفية والنحوية والمعجمية بين النظامين اللغويين. –مثلا دراسة تقابلية بين (العربية _العبرية) تنتميان الى اسرة واحدة هي السامية.

دراسة تقابلية بين العربية / الإنكليزية تنتميان إلى أسرتين لغويتين مختلفتين.

كما يقوم المنهج التقابلي بدراسة الفروق بين اللهجة المحلية واللغة الفصحى، وتتم الدراسة التقابلية على مستوى الأصوات، وبناء الكلمة، وبناء الجملة، والدلالة، ويبقى الهدف الترتيب الذي تتوفاه الدراسة التقابلية هو: تذليل الصعوبات في تعلم اللغات وذلك بالاستعانة بالنظريات الحديثة في ذلك.

واقع تعليم اللغة الفرنسية في الجزائر:

اللغة الفرنسية لها تقاليد الاستعمال في الجزائر باعتبارها لغة ثانية إلى درجة أن تعليمها كان دائما يشكل رهانا تضطلع به مختلف السياسات التعليمية. والتربوية المتعاقبة في الجزائر .وما يهمنا في هذا المقام من تلك اللغة الثانية هو تواجدها في الجزائر إلى جانب أنماط أخرى من الاستعمالات اللغوية واللهجية بحيث أصبح لا

يليق بمعلميها غض الطرف عن تموقع وتنوع المتعلمين الذين يحضر لأجلهم دروسا ويتحدث إليهم طيلة حصصهم التعليمية حيث يقوم المعلم في حضرتهم بوصف نظام لغوي تابع لأسرة لغوية غير الأسرة اللغوية التي تنتمي إليها العربية ، ويكلفهم بتطبيقات ينجزونها تفسح لهم مجالا لاستعمالها أو التفكير في إحدى مسائلها ، أو العكس من ذلك قد تنجز في ظروف(بيئة) لا توفر الجو السليم لتمثل ذلك النظام ، ثم تعرض عليه المناقشة والتصحيح والتصويب .ولغته هو حسب حالته النفسية أحيانا قد تتداخل فيها البنى العربية الفصيحة بالدارجة العامية : كل هذه الأنشطة التعليمية والبيداغوجية وغيرها لا يمكن أن تحدث بنفس الطرف التي يعرفها زميله في فرنسا مثلا ،لسبب بسيط هو اختلاف المتعلم الذي يفد من وسط اجتماعي مغاير ، لكن تبقى النظريات اللسانية ومناهج الوصف اللساني الموضوعة هنا وهناك والمطورة من قبل اللسانيين يمكن أن تعبئ المعلمين في الجزائر بنفس التبصر والمعرفة وقد لا يسلم تطبيقها في المدرسة الجزائرية من العيوب فالتسلح بالنظريات اللسانية لا يضرّ أبدا إنما يتيح عدة اختيارات فمثلا تقدم اللسانيات التداولية التي أصبحت ميدان أسئلة جديدة ،تفسيرات لبعض الوحدات اللغوية بمراعاة السياق الذي تستعمل فيه وباعتبار المقامات التي ينتج فيها الخطاب.

المحاضرة السادسة: المنهج الوصفي.

مع بدايات القرن العشرين مال البحث اللغوي إلى اعتماد منهج محدد في وصف الظاهرة اللغوية. والذي انطلق فعليا مع ظهور محاضرات **سوسير** في اللسانيات العامة. ومن ثم حلقة براغ في مجال علم وظائف الأصوات مع أحد أشهر مؤسسها **نيكولاي تروبسكوي** إلى جانب المدرسة الأنثروبولوجية مع **سابير** والتوزيعية مع **هاريس وبلومفيلد**.

<u>الصلة بين المنهج الوصفي وبعض المناهج الأخرى.</u>

إن تبلور المنهج الوصفي في القرن العشرين لا يعني أن البحث اللغوي قبل ذلك لا يعتمد على الوصف، وحتى المناهج السابقة (التاريخي والمقارن) اعتمدت على آلية الوصف في دراستها للظاهرة اللغوية قبل تحليلها بيد أن مما لاشك فيه أن ثمة اتجاها وصفيا متميزا عن الاتجاهات السابقة، أخذ يطبق خطواته على اللغة، متجاوزا في ذلك النظرة المعمارية الضيقة فاسحا المجال للموضوعية العلمية ألا وهو المنهج الوصفي.

<u>مميزات المنهج الوصفي:</u>

أولا: الاهتمام باللغات الحية:

إن ما يتميز به المنهج الوصفي الاهتمام بواقع الظاهرة اللغوية، وليس بتاريخ تطورها، كما يفعل المنهج التاريخي ولذا كان تركيز رواده على وصف اللغة من خلال واقعها المنطوق، وليس من خلال المدونات المكتوبة (المخطوطات، النقوش، الرسوم.) فالوصفيون يرون أن قواعد الإملاء والكتابة لن ترقى في وصف الظاهرة اللغوية مهما دقت هذه القواعد إلى ما يتوصل إليه من
خلال النطق الحي. لذا عزف الوصفيون عن دراسة اللغات القديمة كالسنسكريتية، واللاتينية واليونانية القديمة، فقد بادت هذه اللغات ولم يعد يسعف في وصفها إلا

الاعتماد على القدرة الناقصة للكتابة وقواعد الإملاء. لذا اتجهوا وأقبلوا على دراسة اللغات الحية لتوصيفها كما هي وليس كما كانت.

ثانيا: الاهتمام بتعليم اللغة.

إن الطريقة الوصفية قريبة النتائج ولذا كان الاعتماد عليها في مجال التعليم أكثر من الطريقة التاريخية أو التاريخية المقارنة. فهذه الأخيرة تتجاوز في أهدافها البعد التعليمي للبحث اللغوي إلى البحث في أصول الظاهرة اللغوية وتطورها وهذا لا يلزم المتعلم بالضرورة. كما لا يلزم المستخدم اليومي للغة أيضا. ولذا فقد عمدت الدراسات التعليمية إلى إتباع المنهج الوصفي في وضع الكتب التعليمية، وهو منهج يستهدف وصف الظاهرة اللغوية دون مقارنتها أو دون الوقوف على مراحل التطور التي سبقت، بل يصفها كما هي ويبين مدى إطراء قواعدها ومدى شيوع هذه القواعد.

فالباحث التاريخي مثلا يهتم بمعرفة ما إن كانت لفظة ما في اللغة أصلية أو داخلية، ثم إذا كانت دخيلة فهل دخلت على حالها تقريبا دون الخضوع للميزان الصرفي العربي نحو كلمة **كلاسيك** أم تراها دخلت بعد أن خضعت للوزن العربي نحو **تلفاز** أما الباحث الوصفي فلا يعنيه سوى أن يتلقى الكلمة في وضعها الحالي فيحدد مقاطعها، ووزنها الصرفي واشتقاقها، ومعانيها وما شاكل ذلك من أسئلة تتعلق بواقع اللفظة من حيث الاستعمال الجاري. وبالتالي لا يهتم باستنباط العلاقات الحضارية والتاريخية بين الشعوب من خلال احتكاكها اللغوي ولعلماء المنهج الوصفي فلسفتهم الخاصة في تعليم اللغات ترتكز على مجموعة مبادئ هي:

-الاعتماد على جانب النطق قبل الكتابة لذلك يعتمدون على المختبرات المجهزة بالسمعي البصري أكثر من اعتمادهم على الكتب.

-تحيين المحتويات المعتمدة بحسب آخر ما استقر عليه الاستعمال اللغوي حتى ولو خالفت ما تنص عليه القواعد المثبتة في المجلدات.

-عدم جدوى مقابلة لغة بلغة أخرى للاتكاء تعليميا على ما بينهما من أوجه تشابه.

ثالثا: الاهتمام باللهجات المحكية.

تولد عن اهتمام أصحاب المنهج الوصفي باللغة في صورتها المنطوقة، أن عنى هؤلاء عناية كبيرة باللهجات حيث أعطوا عناية للهجات لم يعطوها للغات الرسمية خاصة إذا كانت هذه اللغات تقتصر على الكتابة دون الحديث بها كاللاتينية واليونانية القديمة مثلا وقد أسفرت الدراسة الوصفية إلى تناول عدة مستويات لغوية (المعيارية، اللهجية، العامية، الخاصة) (وسط حرفي ما) والمبتذلة. إلى غير ذلك من تقسيمات يراعى فيها اختلاف الحرفة والطبقة الاجتماعية والمذهب، والبيئة...) ونظرتهم إلى اللهجات نظرة متكافئة من حيث أهمية كل لهجة في التعبير عن فئتها.

وقد ظهر مع الاهتمام باللهجات ما يعرف بالجغرافية اللسانية وما يعبّر عنها من أطالس لغوية. ومرد هذا الاهتمام إلى اهتمام الوصفيين باللغات في صورتها المنطوقة ودأبهم على دراسة اللهجات، والوقوف على خصائص كل لهجة ومميزاتها والقدر المشترك بين لهجة وأخرى. وذلك بالاعتماد على الدراسات المخبرية خاصة والتي توفرها مجموعة عن الأجهزة الدقيقة التي تمكن الباحث من وصف الصوت اللغوي وتحليله وبيان مخرجه وصفاته. وتناسبه مع أصوات أخرى. فمثلا يتم تحليل الكلام عن طريق جهاز السبيكتوغراف بتحويل الأصوات إلى صور مرئية ذات بعدين: أحدهما عمودي يمثل ذبذبة الكلام والآخر أفقي يمثل الزمن. وتظهر شدة الصوت في درجات متفاوتة من السواد بناء على مصدر الصوت. لقد أتاحت هذه الوسائل الحديثة فرصة كبيرة للتدقيق في وصف اللغات صوتيا.